المبحث العاشر

نص تقرير خروشوف للقضاء على الإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

لعلك تذكر أيها القارئ الكريم أننا قد تعرفنا على موقف دعاة المادية الأوائل مثل «كارل ماركس» ورفيقه «انجلز» من الأديان عامة من الإسلام بصفة خاصة وذلك خلال تصريحاتهم التي لا نرى بنا حاجة إلى تكرارها، ولكن الذي نريد أن نسقط عنه القناع الزائف في هذه المرة هو موقف رؤساء الحكومات الشيوعية الذين حولوا النظرية إلى تطبيق من الإسلام وأهله.

والحق أن هذا الموقف يحتاج إلى دراسة بعيدة الغور طويلة النفس حتى يتميز الخبيث من الطيب، ولا يمكن أن نتعقب كل رئيس من هؤلاء ولكن حسبنا أن نضرب مثلًا لهؤلاء بواحد مثل «خروشوف» الذي كان أشدهم عتيا يومًا ما حتى إننا فتحنا له أبواب بلادنا فدخلها دخول المنتصر وفتح له المنافقون قلوبهم -إن كان لهم قلوب يفقهون بها- فأطلقوا ألسنتهم بالمديح له والثناء عليه وهو المحارب للإسلام المحتقر للأديان -والعياذ بالله.

لقد قدم ذلك «الدب الروسي» الهالك تقريره إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي

السوفييتي في ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٥٤م ووافقت اللجنة بالإجماع. ويتضمن التقرير السياسة التي رسمها ذلك الملحد المادي الحاقد للقضاء على الإسلام، وإليك أيها القارئ ما جاء بالبيان:

يتابع الحزب الشيوعي وفقا لبرنامجه دعاية علمية ترمي إلى تفسير الحياة على أسس المفاهيم المادية -تأمل عبارة المفاهيم المادية جيدًا أخي القارئ- بغية رفع المستوى الشعبي والطبقات العاملة وتحريرها من الأساطير الدينية مع العلم بأن الحزب اعتبر أنه من الضروري عدم التعرض للمشاعر الدينية.

وتملك اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي وقائع تشهد بأن أخطاء ارتكبت في المدة الأخيرة في نطاق بث الدعاية العلمية الإلحادية بين أفراد الشعب، فبدلا من متابعة العمل الدقيق النظامي في الكفاح العقائدي ضد الدين راحت بعض الصحف المركزية والمحلية وبعض المحاضرين يشن هجمات سداها الشتائم الموجهة إلى المؤمنين ورجال الدين. إن أمثال هذه الأخطاء في الدعوة المناهضة للدين على نقيض برنامج وسياسة الحزب الشيوعي حيال الدين والمؤمنين.

وترى اللجنة المركزية أن العديد من المنظمات التابعة للحزب قد أهملت التوجيه الصحيح للدعاية الإلحادية وأنها لا تهتم بالكادرات الدعائية. إن هذا الموقف المهمل للمسئولية وعدم وجود الرقابة الضرورية على التوجيه الصحيح للدعاية الإلحادية تضر بالعمل الثقافي والتربوي ضررًا فادحا لذلك فإن اللجنة تقرر ما يلي:

يتوجب على جميع اللجان الإقليمية ولجان المناطق المركزية للأحزاب الشيوعية في الجمهوريات المتحدة وعلى جميع منظمات الحزب أن تمحو أخطاء الدعاية الإلحادية.

إنه على إثر التبدلات الجذرية التي حصلت في ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتصفية الطبقات المستثمرة وانتصار الاشتراكية في روسيا السوفيتية بفضل تطور العلوم وارتفاع المستوى الثقافي العام في البلاد فإن أكثرية السكان قد تحرروا منذ زمن بعيد من سفاسف المعتقدات الدينية.

أي أن وعي العمال قد اتسع غير أنه يستحيل عدم الأخذ بعين الاعتبار للواقع بأن في البلاد مواطنين يظلون يسهمون بنشاط في حياة البلاد ويقومون بكل إخلاص بواجباتهم المدنية نحو الوطن ولكنهم واقعون تحت تأثير نوع من أنواع المعتقدات الدينية.

ولقد طالب الحزب -ويستمر في المطالبة- باتخاذ موقف متيقظ سداه العطف على المواطنين الملحدين وممارسة الدعاية العلمية الإلحادية ممارسة عميقة يرافقها الصبر وبطريقة حاذقة تساعد المواطنين على التحرر نهائيًا من الأخطاء الدينية. علمًا بأن كل تدبير إداري وهجوم وشتائم ضد المؤمنين وخدام الدين من شأنه أن ينقلب على الدعاية العلمية الإلحادية ويثير الأساطير والمعطيات الدينية (العجب أن أذناب الشيوعية في العالم العربي والإسلامي يمارسون هذه السياسة بل قد بلغ بهم الأمل والغرور معًا إلى حد رفع شعار: المستقبل لنا).

لقد أجتثت الجذور الاجتماعية في بلادنا للدين ولذلك ينبغي أن يكون الكفاح ضد الأساطير الدينية في الوقت الحاضر معتبرا ككفاح أيدلوجي للمفهوم العلمي والمادي للحياة ضد المفهوم الديني المناقض للعلم (تأمل أخي القارئ التركيز المستمر على المفهوم المادي وهكذا يناقض الدين العلم -حسب مفهوم ذلك الهالك وأذنابه من الملحدين الماديين- على الرغم من أن أول آية نزلت من القرآن الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: جزء من الآية ٣٣].

إن تصحيح الأخطاء المرتكبة في الدعاية المناهضة للدين ينبغي ألا يؤدي إلى انحراف في الدعاية الإلحادية التي هي جزء متمم للتربية الشيوعية والتي ترمي إلى تعميم المعلومات العلمية والمادية بين الشعوب وتحرير المؤمنين من تأثير الأساطير والمزاعم الدينية.

وتشير اللجنة المركزية إلى أن الدعاية العلمية الإلحادية تتطلب انتباها كبيرًا واختيارًا صحيحًا للمحاضرين وكتاب المقالات والكراسات عن الموضوعات المناهضة للدين، ولا يجب أن ينتقي في هذا المجال سوى الأفراد ذوي الكفاءات على الصعيد العلمي مثل أساتذة المدارس، ومعلمي المدارس الفنية والمدارس العلياء، الأطباء، الاختصاصيين

بالزراعة، المساهمين في مختلف مؤسسات الأبحاث العلمية، الكتاب والفنانين القادرين على شرح سيرة العلم المناهضة للدين على أساس المفهوم المادي للحياة.

نقول: وهكذا يستمر هؤلاء الملحدون الماديون في اللف والدوران حول محور واحد هو: المفهوم المادي للحياة.

وترى اللجنة المركزية أنه لا يمكن الوصول إلى نتائج إيجابية في العمل التربوي الرامي إلى القضاء على المعتقدات الدينية إلا إذا توافر التقدم العتيد لعملنا الثقافي بين العمال وتحسين قصور الثقافة والنوادي.

(ولا تعجب أخي القارئ إذ تم إغلاق مركز الثقافة السوفيتي في القاهرة بعد ما أكثر في [١] الأرض الفساد والمكتبات العامة وقاعات المطالعات ومكاتب المحاضرات العامة وساحات الثقافة والإعلام وغيرها من المؤسسات الثقافية).

ذلك ما جاء في تقرير خروشوف الذي أقرته اللجنة المركزية العامة للحزب الشيوعي السوفييتي في تاريخ تقديمه. ويعقب الدكتور يوسف الشال الأستاذ بجامعة أم القرى في كتابه «**جرائم أمن الدولة وعقوبتها في الفقه الإسلامي**» بمكة المكرمة على هذا التقرير بقوله:

«من النظر إلى هذا التقرير بالنسبة للدين يتضح لنا عدد من النقاط الأساسية وهي:

أولًا: لا تكتفي الشيوعية أو الماركسية المادية من مواطنها بأن يكون مسهما بنشاط في حياة البلاد ولا قائمًا بإخلاص بواجباته المدنية نحو الوطن بل لا بد لتمام المواطنة من أن يتحرر من الإيمان الديني أي أن يكون ملحدا، فصدق الولاء والعمل والإخلاص للوطن كل هذا لا يجعل المواطن مواطنا في معناه الأصيل إذا لم يقرنه بالإلحاد، فالإلحاد شرط اعتناق الشيوعية وشرط الحياة في ظلها.

(١) كان ذلك في السبعينات من القرن العشرين الميلادي.

ثانيًا: لا بد من سياسة أكثر حذقا وأبرع وسيلة في الوصول إلى الهدف فما هي هذه الوسيلة؟

يصفها «خروشوف» بأنها: ممارسة الدعاية الإلحادية ممارسة عميقة بصورة حاذقة أي جعل الإلحاد موقفا فكريا وحقيقة علمية لا مجرد أوامر سلطة وموقف سلطة تفرضه بالقسر والتخويف أي أنه يريد العمل على انتزاع الإيمان من أعماق النفوس المؤمنة وليس مجرد التسليم الظاهري بالإلحاد.

ثالثًا: يركز خروشوف على انتقاء عناصر الدعاية الإلحادية انتقاء حذرا من صفوة مختارة تنهض بهذا العبء الآثم وتجيد توجيه المناهضة للدين على أساس المفهوم المادي للحياة أي المفهوم الشيوعي، ومن حقك أيها القارئ أن تسأل وماذا كانت نتيجة هذه السياسة الخبيثة الحاقدة.. ضد الدين؟

لقد كانت النتيجة في غاية الخبث والذكاء معًا فقد سمح لرجال الدين المسلمين والنصارى بممارسة شعائر الدين، أي ممارسة حق العبادة على شرط ولائهم للسلطة الشيوعية ودعوتهم إلى الولاء لها! ولقد أحاطتهم السلطات بالجواسيس لمراقبة كل ما يصدر عنهم.. ويجب أن نلاحظ التفرقة بين هذه الحرية الشكلية الممنوحة لرجال الدين وبين حرية الدعوة المناهضة للدين، فالأولون محظور عليهم الدعوة للإيمان أو التبشير بدينهم في حين أن واجب الملحدين هو الدعاية للإلحاد وكل وسائل السلطة وإمكاناتها مسخرة لذلك بين أيديهم!!

كما أنه يراد بهذه الحرية المقيدة الدعاية للشيوعية في الخارج وبخاصة في العالم العربي، حينما يزور روسيا زائر مسلم من العالم العربي والإسلامي ويرى تلك المزارات والمساجد العتيقة وبها بعض الذين يمارسون العبادة كلهم تقدمت بهم السن، ومن بين هذا البعض المتنكرون والجواسيس الذين توفدهم الدولة لمراقبة كل حركة وكل كلمة. ولقد كان للإسلام النصيب الأوفر من العداء والتركيز على مقاومته بمختلف الطرق

والأساليب ومثال ذلك المؤتمر العام الذي عقد بمدينة «فحثلكة» شمال القوقاز في أواخر عام ١٩٦٠م. وكان موضوع المؤتمر:

بقايا أتباع الدين الإسلامي وطرق القضاء عليهم

وقد حضر المؤتمر ممثلان من الجمهوريات الإسلامية الست في الاتحاد السوفييتي أحدهما من «تركمانيا» والآخر من «أذربيجان» أما بقية الموفدين وعددهم (٤٥٠) أربعمائة وخمسون مندوبًا فقد مثلوا المسلمين في القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي.

وتحدث الخطباء وكلهم أعضاء في الحزب الشيوعي ومن بينهم مدربين على الدعوة إلى الإلحاد. تحدثوا عن موضوعات كثيرة كلها مما يتصل بالإلحاد وواجب الدعاة الملحدين ثم المواجهة الصريحة للإسلام في عقيدته وشريعته تجريحا وتضليلا ومن بين الموضوعات التي تناولها المؤتمر:

- واجبات دعاة الإلحاد الفنية وعلاقة ذلك بقرار اللجنة المركزية الخاص بالدعاية.
- نوع وطرق الدعاية الإلحادية في تركمانيا وأديجي وداغستان.
- انتقاد العقائد الاجتماعية الواردة في القرآن.
- انتقاد الاعتقاد الديني الخاص بالواجب والشرف والحياة.
- الدين الإسلامي والحياة.
- ضرر الطقوس والأعياد الإسلامية على بناء المجتمع الشيوعي.
- الإسلام سلاح لاستعباد المرأة.
- طريقة تربية الطلاب على الإلحاد.
- آراء كارل ماركس وانجلز في الإسلام.

obeikandl.com

- بقاء الإسلام في أي بلد يعتبر العامل الأساسي لعدم تثبيت أقدام العائلة الاشتراكية.

إلى آخر ما حدث من هجوم وتزوير ضد الإسلام ومبادئه السمحة.

هذه نماذج للموضوعات التي عرضت في هذا المؤتمر الخطير الذي اتخذت فيه أخطر القرارات حول القيام بنشاط دعائي غايته إزالة الإسلام من الوجود.

ولكن لما كان الدين فطرة في النفوس فإن الإرهاب والقتل الجماعي والدعاية الحاذقة كل ذلك لم ينجح في انتزاع الإيمان بالدين تمامًا من النفس فقد بقي البعض على إيمانه ومارسوا الشعائر الدينية في السر، وتم رفع تقارير بذلك إلى الجهات المختصة، وبأن الدين لا يتشبث به الكبار فقط بل والصغار كذلك، وكان على السلطات أن تهب لمواجهة الخطر -في نظرها- فقامت بتعديل نص المادة ٢٢٧ من قانون الجرائم بحيث اعتبر النص الجديد «قيام الآباء والمعلمين ورجال الدين بتعليم أصول الدين للأطفال أو الملحدين من الكبار يعتبر عدوانًا على حرية الفرد وعلى حق المواطن».

وتنفيذا لهذا النص قامت السلطات بسجن ونفي أعداد كبيرة من الآباء ورجال الدين والمعلمين، ثم فرضت تدبيرا آخر منعت الشعائر الدينية بموجبه في أي كنيسة أو مسجد إذا حضر الأطفال هذه الشعائر. أ هـ.

ذلك ما جاء في تقرير «خرشوف» وما ترتب عليه من أسوأ الآثار بالنسبة للمسلمين، وما نحسب أي زعيم أو رئيس حكومة يعتنق الديانة الشيوعية أو يدور في فلكها إلا أن يكون «خروشوفا» ولكن على صورة مصغرة، وإن زعم أنه حج بيت الله الحرام أو فعل كذا وكذا.. إلى آخر هذا الدجل السياسي.

ولكن ماذا كان مصير «خروشوف»؟

لقد تقلبت به الأيام وإذا به يهوي من القمة إلى الحضيض، ومن عزة الحكم إلى ذلة المحاكمة والمساءلة ويقضي بقية أيامه -بعد أن كتب الله له سوء الخاتمة في الدنيا- على دكة خشبية في حديقة صغيرة بجوار قصر الكرملين.

ويوم أن مات لم تشيع جنازته، لا رسميًّا ولا شعبيًّا، ولو مات كلب خرشوف أيام حكمه لكان عدد المشيعين له ضعف عدد مشيعي خروشوف، ولكنها المادية «الشيوعية»!

وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨- ٩].

obeikandl.com